مفكرة

...ابداً لم تفاجئنا يا هيكل !

لم يفاجيء ويستغرب اي مواطن عربي كلمة واحدة مما كتب هيكل الاهرام في جريدته محددا موقفه وشارحا وجهة نظره من عملية مطار اللد التي نفذها ثلاثة من الرفاق اليابانيين الشجعان . ونحن بدورنا نسجل تقديرنا العميق لما ابداه هيكل في مجرى تعليقه من « تعاطف حماسي » تجاه شجاعة اليابانيين الذين قدموا حياتهم راضين في مطار اللد .

واجد نفسي بعد قراءة « الصراحة » مضطرا لمناقشة هذا الكاتب حول هذا الموضوع من اجل ان نخرج بنتيجة سوف نخطها في نهاية هذه السطور لتكون بالتالي حكما بيننا ، نحن الذين نجهر باننا نمثل موقف الجماهير العربية الحقيقي ، وبين من يشوهون التاريخ بأقلامهم وفلسفاتهم التوفيقية والمنحرفة ، وتخريجاتهم السطحية ليشوهوا اولئك الذين يصنعونه بدمائهم من اجل تمزيق الظلم الحالك الذي يريد الامبرياليون ابقاء الشعوب الضعيفة والطبقات المستغلة تعيش وسطه وله فقط ، وليبقى العالم بعد ذلك من اجلهم ولهم وحدهم الامبرياليون .

وحينما يتحدث هيكل فانه يسير ضمن الحملة التي يؤرخها مؤرخو الحضارة الزائفة ولا يسجلون من حركة التاريخ الا ما يتماشى وينسجم مع تقاليدهم وفلسفاتهم الاستغلالية مبتعدين عن حقيقة التاريخ وحركة التاثير فيه لتغييره التي يحركها الانسان المسلوب حينما يواجه قوة الطغاة والمزيفين بروحه ودمه مهددا الارادات المفروضة عليه بالارهاب من قبل بورجوازية العصر وطبقات الامتهان والطغيان العالمية ..

وهيكل يبدو هذه المرة اكثر وضوحا في موقفه من حيث ارتباطه وانسياقه في خدمة النهج المشوه والمزيف لحركة الثورة العالمية الجديدة .

ففي مجرى انتقاد هيكل لعملية مطار اللد فانه يعلن بأنه لا يؤمن « بالنضال عن طريق الوكالة » !!

ان هذا الكلام ينم عن موقف لا يمكن ان يتبناه ويجاهر به الا رجل لا يفقه في علم الثورة ولا في علم النضال سطرا واحدا ، بل حتى لم يقرأ سطرا واحدا في حقائق الثورة المعاصرة فحينما قامت مجموعة الثوار اليابانيين بالعملية ، وتقدموا لتنفيذها لم يقوموا بذلك مدفوعين لاجل غاية شخصية ولا من اجل هدف انانـي ، وهم لم يقوموا بعملهم وكالة عن احد ، لانهم كانوا يعتبرون القضية التي مانوا في سبيلها قضيتهم هم ايضا ..

فالثلاثة اعضاء في حزب جماهيري يعيش يوميا وفي الشارع نضالاته ضد الطغيان الامبريالي وامتداداته في اليابان ، هذا يعني انهم ابناء حزب ، وحزب ماركسي لينيني ، يفهمون معنى الالتزام ومعنى النضال ، ولا يدورون حول الموضوع ، ولا يخافون من « مناطحة الامبريالية » اينما وجدت ، لقد نفذوا عمليتهم تحت شعار امعي ، شعار الثورة ضد الامبريالية في كل مكان ، ثورة واحدة ، والعاملون تحت لوائها في انحاء العالم هم ثوار من اجل المبادىء ومن اجل تحقيق الاهداف المشتركة .

ولكن هيكل الصراحة لا يفهم هذه الحقائق التاريخية النضالية ، لانه ينظر ويكتب من اجل فلسفة اخرى ومضادة لمبادىء اليابانيين الثلاثة التي اعتنقوها واستشهدوا في مطار اللد من اجلها ، فهو من جهة صاحب نظرية عدم مناطحة الامبريالية ، وهم من الجهة المعاكسة الرجال المناضلون الذين لا يترددون في دخول عرين الاسد لضربه ولطمه في وجهه ... ولذلك فهو يسمي هذه البطولة « نضالا بالوكالة » !

هكذا ! وبشكل « بارد » وحاقد تفهم القضية، ويطرح موقفه فيها، ولكنني اسال : هل يعتقد ان شعب فلسطين وثواره قد استقر بهم المطاف للراحة وللاستقرار ولم يعودوا قادرين على متابعة النضال ليوكلوا الى غيرهم تحرير فلسطين ؟

اذا كان هيكل يعتقد ذلك فهو مخطىء ، واذا حاول ان يؤكد ذلك ويكرسه على اساس انه صحيح فهو مضلل ـ ولا يبدو لي انني امنحه صفة جديدة عليه .

ان تفسير هذا الموقف النضالي الثوري الاممي من قبل هيكل هو في حقيقته موقف ينم عن عدم ادراك لمعنى النضال العالمي اولا وموقف يدخل في سياق وجهة النظر الامبريالية والصهيونية التي علقت على العملية فورا قائلة : « بان المنظمات الفدائية فشلت في مواجهة اسرائيل فاوكلت عملها الى اشخاص يابانيين » .

اذا هكذا فهمت القضية من قبل هيكل الصراحة ؟ هذا فعلا ما كنا نتوقعه ولا شيء غير ذلك !

ولكن دعونا نسال السيد هيكل ، ببساطة ، هذا السؤال :

لماذا اشترك غيفارا الارجنتيني في ثورة كوبا ؟ ولماذا استشهد نفس الرجل في بوليفيا ؟ هل كان يقاتل بوكالة عن الشعب الكوبي وعن الشعب البوليفي ؟ ماذا ستقول عن هذا الرجل على طريقة فلسفتك في كتابة فن التزييف ؟

وهيكل ثانيا لا يؤمن باطلاق النار كيفما كان !!

كيف توصلت الى هذه القناعة ؟ هل توصلت اليها لانك تفهم الحضارة اكثر من غيرك والانسانية اكثر من الاخرين ؟ ام انك تقول ذلك من اجل ان يقول العالم الغربي « المتحضر بوجهة نظرك » بان هناك كاتب عربي واحد يدافع عن الموضوعية والموقف الصحيح ، ولترضي بذلك الاستنتاج المخادع رغبات الحضارة الزائفة والمفاهيم الاستغلالية العالمية عند الغرب حكومات وصحافة ؟

لقد تصرف الرفاق اليابانيون ـ على ما نفهم ـ وفق اعتبار مبني على قناعات بان اسرائيل مجتمع استيطاني وحركة مجسدة لمفاهيم الامبريالية ونزعة عنصرية تعصبية تتحكم فيها تعاليم العنف والقتل بشكل واضح وبارز ، وعلى هذا الاساس فان اسرائيل « مجتمع عسكري » بكل المؤسسات القائمة ، وبالتالي فالمقاومة الفلسطينية في حالة حرب دائمة ومستمرة مع هذا الكيان « لانها لم تقبل بمشاريع الاستسلام » وعلى هذا فالمقاومة غير مسؤولة عن مواصلة ممارسة العنف الثوري المسلح الا بقدر النتائج الايجابية التي تعجل في خطوات التحرير ، ولهذا فالمقاومة تتعامل مع الكيان الاسرائيلي ليس « كحقيقة ثابتة » تحاول اسرائيل ان تقنع العالم وانما هي حقيقة مصطنعة نعمل بكل قدراتنا وامتدادات نضالاتنا عالميا لزعزعتها وبالوسائل التي تراها المقاومة ناجعة ومفيدة .

وبكلمة اخرى : ان وقف اطلاق النار لا يسري على المقاومة !

الا ان هيكل لا تعجبه وسائلنا وطرقنا وانما يريدنا ان نتبع طرقا جديدة «متحضرة» للتعامل مع اسرائيل . طرقا يفهمها الغرب ، تسقط من حساباتنا نحن العرب حقوقنا التاريخية والقومية المشروعة ولتؤكد وتكرس على المدى الزمني القادم حقائق مشروعية الوجود الصهيوني ، هكذا يريدنا هيكل ان نتعامل ونتحدث الى اسرائيل .

وهيكل ايضا وفي معرض حديثه يكاد يكون قد شفى غليله من اسرائيل لما ارتكبته من « خدعة » مع مجموعة علي طه مستغلة الصليب الاحمر الدولي في ذلك ..

واقول لهيكل عنا ان الذي حدث ليس صدفة ابدا وانما هو امتداد عضوي لمجازر الارهاب التي ارتكبها العدو ضد ابناء شعبنا الفلسطيني والعربي بوجه عام ، والغريب ان هيكل نفسه ، الذي يحدد موقفه ويطرح انتقاداته ضد اطلاق النار كيفما كان ، يدافع بذلك عن دولة لا تفهم الا هذا الاسلوب ، ولم تستعمل في حربها معنا ومنذ حالة نشوئها غير هذه الاساليب ..

وهنا اتساءل : كيف يمكن التعامل مع الدولة التي هدمت اكثر من مدينة عربية مثلا على ضفاف السويس ؟ ماذا حل في مدينة السويس ؟ والاسماعيلية والقنطرة ؟ ماذا هي اساليبك امام دولة قصفت مصانع ابو زعبل وانت تعرف نتيجة القصف اكثر من غيرك ؟.. وهل ذهبت طائرات اسرائيل الى اقصى صعيد مصر في « نجع حمادي » لضرب اهداف عسكرية ؟ هل فعلت كل ذلك وكانت تتحايل على الصليب الاحمر واستغلت الانسانية الزائفة التي تتحدث وتدافع عنها وهل طبقت ولو لمرة واحدة ما تطالبنا به وتقف ضده من « اطلاق النار كيفما كان » ؟

الجواب لا . الف مرة لا .

ثم دعنا نسال سؤالا بسيطا : هل وقف اطلاق النار ، وقبول مشاريع الاستسلام ، والمضي بالتراجع امام البطش الاسرائيلي ـ هل ذلك كله هيا جوا مؤيدا للعرب في اوساط الراي العام العالمي والصحافة الغربية التي تسعى الى كسب رضاها ؟ هل قلل من كمية الهمجية الاسرائيلية ؟

ثم ، ايضا ، ماذا تعني كلمة « كيفما كان ؟ » اذا كنا نعتبر مطار اللد هدفا استراتيجيا ، واذا كنا ضد وقف اطلاق النار واذا كنا ندرك ان كل مواطن اسرائيلي هو عسكري ، واذا كنا متفقين انه تحت ظروف الاحتلال فكل شبر محتل هو ميدان قتال ، واذا كنا حذرنا السياح الف مرة من الاسهام في خلق جو الشعور بالاستقرار ، فما معنى كلمة « اطلاق النار كيفما كان » ؟

وهيكل يخاف من ان تكون نتائج مثل هذه الاعمال ضارة وسيئة بالنسبة لعلاقاتنا مع اصدقائنا ..

واقول : ان معيار الصداقة لنا يختلف عن معيار الصداقة بالنسبة لك ان معيار الصداقة لا يقاس بالنسبة لنا الا من خلال من يدعمنا ويؤيدنا في نضالنا المشروع ويعترف بحقوقنا التاريخية والقومية في تراب وطننا . ولنا على هذا الاساس كتلة عالية لها وزنها في ميزان الصراع العالمي منطلقة في ذلك من مواقف مبدئية متفهمة للعلاقة الجدلية بين النضال الفلسطيني كحركة معادية للامبريالية والصهيونية والرجعية المحلية تطرح مفاهيم تقدمية وثورية في سبيل التحرير وفي حربها العادلة مع القوى المعادية ، وبين حركة صهيونية عنصرية فاشية ارهابية وجزء من الامبريالية العالمية . وانطلاقا من هنا قدم الرفاق اليابانيون ارواحهم ضد هذه الحركة ولتجسيد النظرية الثورية في التلاحم النضالي بين الحركات الثورية .

الا ان الذين يتحدث عنهم هيكل ويخاف ان يفلتوا عنا دول وجدت ان مصالحها الاقتصادية هي الفضل الف مرة من موقف مؤيد تتخذه تلك الانظمة من اسرائيل ، وهنا تاتي « معادلة المصالح » : فهذه الدول بالتالي مع مصالحها ولم تنحازحتى الان لنا ، وانما وقفت على « الحياد » ليس لان قضيتنا عادلة ولكن لان مصالحها كبيرة في وطننا ، ونقول هنا : من الذي وقف مع العملية ومن الذي وقف ضدها ؟ واضع امامك بعض الاستنتاجات علها تكون جواب واضح لك ..

- اولا : على المستوى العربي لم يقف ضد العملية الا الملك حسين ، والشيخ الجعبري ، وانت .
- ثانيا : لم تتفق الحقائق حول انعكاسات العملية على المستوى الشعبي العربي التي وقفت كلها مشدودة الى الثوار اليابانيين الذين مثلوا ارادة الشعب العربي والحركات الثورية العالمية في تصديهم لقلعة امبريالية على الارض العربية .

هل كان من وقف معنا هو ضد الصداقة ولا يخافون على علاقاتنا العالمية ؟ وهل هناك علاقة نضالية ونظيفة وثورية افضل من الموت في سبيل القضية الثورية يا كاتب « الصراحة » ؟

انت ضد المغامرة ، وهذا حق ، ونحن ايضا ضد المغامرة ، ونحن نؤمن بان الجماهير هي صاحبة القدرة على التغيير في التاريخ ولا يمكن ان يحدث التغيير الا بها ولكن الجماهير المنظمة في حزب ماركسي ـ لينيني .

ان « المغامرة » هي الخطوة العسكرية التي تقوم بها قوة غير منظمة ، لا تسترشد باستراتيجية سياسية وايديولوجية محسومة وجذرية ، وذلك في سبيل فرض مركز توفيقي وتصفوي افضل .. هذه هي المغامرة التي نحن ضدها ..

اما « المغامرة » التي تقصدها انت فهي عكس ذلك .

ان التعبير عن التضامن الاممي والموت في سبيله ليس مغامرة .

ان توظيف ذلك كله في سياق رفض وقف اطلاق النار ، ورفض مشاريع الاستسلام ، ورفض تضليل الجماهير ، وارشاد الشعب الى طريق خلاصه ، وبناء الحزب الحديدي القاتل .. ان ذلك كله ليس مغامرة ..

و « المغامرة » ، بمعناها الخياني ، هي رفض ذلك كله مقابل وضع مصير الشعب والارض بين ايدي تسوية استسلامية ..

لاحظة !

. « ... ابلغ جيفارا الرئيس عبدالناصر انه لا يظن انه سيبقى في كوبا ، وقال انه لم يقرر بعد اين سيذهب ، لكن الشيء الوحيد الذي ينتظره هو ان يقرر « اين يعثر على مكان يكافح فيه من اجل الثورة العالمية ويقبل تحدي الموت ... »

« عبد الناصر والعالم »
ـ هيكل ـ

بقلم: إيهاب راشد